خاتمة سورة التوبة: التفسير والهدايات

إعداد

د/ عبد العزيز بن صالح الخزيم

الاستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه بجامعة القصيم

بحث مقدم للمؤتمر القرآني الدولي السنوي (مقدس ٨).

نظمه مركز بحوث القرآن الكريم بجامعة ملايا، بالشراكة مع: كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للقرآن الكريم بجامعة أم القرى.

الأربعاء والخميس ٥- ٦ ربيع الأول ١٤٤٠هـ، الموافق ١٤- ١٥ نوفمبر ٢٠١٨م.

ماليزيا- كوالالمبور

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده لا شريك له، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد:

فإن من فضل الله علينا أن اختصنا بخير كتبه القرآن الكريم الكتاب المبارك وأمرنا باتباعه، وتدبر آياته ومما يعين على ذلك دراسة آيات القرآن والتأمل فيها واستخراج هداياتها والعمل بها.

ولذا أحببت دراسة معاني خاتمة سورة التوبة وما تحويه من هدايات قرآنية وكيفية تطبيقها وأثرها في وأسميت هذه الدراسة (خاتمة سورة التوبة، التفسير والهدايات) نظرا لما تحويه من منهج تطبيقي لدعوة النبي ﷺ.

- ويتكون البحث من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، وهي كالتالي:
- المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره وهدفه.
- المبحث الأول: تاريخ نزول خاتمة سورة التوبة ومناسبتها لما قبلها.
- المبحث الثاني: التفسير التحليلي لخاتمة سورة التوبة.
- المبحث الثالث: الهدايات القرآنية في خاتمة سورة التوبة.
- المبحث الرابع: أثر تطبيق الهدايات القرآنية في خاتمة سورة التوبة على واقع الأمة وسبل تحقيقها.
- الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.
- المراجع والمصادر.

وقد راعيت المنهجية العلمية التالية:

١. الالتزام بأحسن طرق التفسير ببيان القرآن بالقرآن ثم بالسنة...مع الاعتماد على الأحاديث والاثار الصحيحة.

٢. الرجوع لما كتب في التفسير بمختلف مدارسه واتجاهاته المختلفة والاستفادة منها مع الالتزام بأصول التفسير وقواعد الترجيح.

٣. الإفادة في من كتب السيرة والأخلاق.

٤. الالتزام بمنهج السلف وأئمة السنة في تناول الهدايات .

٥. عدم الخروج في تناول الهدايات عن دلالة النص القرآني.

والله أسأل أن يكون عملي خالصا لوجهه وأن ينفع به ويتجاوز عن الخطأ والتقصير.

المبحث الأول: تاريخ نزول خاتمة سورة التوبة، ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: تاريخ نزول خاتمة سورة التوبة:

اتفق المفسرون على أن سورة التوبة مدنية، ونقل بعضهم الإجماع على ذلك(١)، ولكن اختلف قولهم في الآيتين الأخيرتين منها.

فقال مقاتل بن سليمان [ت:١٥٠هـ]: "سورة براءة مدنية كلها غير آيتين هما قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ إلى آخر السورة، فإنهما مكيتان"(٢).

وعن أبي بن كعب ﷺ [ت:٣٠ هـ] أنه قال: "آخر آية أنزلت على عهد رسول اللهﷺ : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ وقرأها إلى آخر السورة"(٣).

وقال قتادة [ت:١١٨هـ]: "يقال: إن أحدث القرآن بالله عهدا هاتان الآيتان: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ إلى آخر السورة"(٤).

وإلى القول بمكيتهما ذهب جماعة من المفسرين منهم أبو القاسم النيسابوري [ت:٤٠٦هـ]، والزمخشري [ت:٥٣٨هـ]، وابن الفرس [ت:٥٩٧هـ]، وابن الجوزي [ت:٥٩٧هـ]، والرازي [ت:٦٠٦هـ]، وغيرهم(٥)، ونسبه أبو حيان [ت:٧٤٥هـ] للجمهور(٦).

---

(١) ممن نقل الإجماع على مدنيتها القرطبي، والفيروآبادي، والبقاعي، والقاسمي، ومُحَمَّد رشيد رضا. ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٦١/٨)، بصائر ذوي التمييز (٢٢٧/١)، مصاعد النظر (١٥١/٢)، محاسن التأويل (٣٤٢/٥)، تفسير المنار (١٣١/١٠).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (١٥٤/٢، ١٥٣)

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٣٥/ ٤٢) برقم (٢١١١٣)، والطبري في تفسيره (٥٨٩/١٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩٩/١) برقم (٥٣٣)، الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٦٨) برقم (٣٢٩٦) وصححه ووافقه الذهبي. والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٣٩)، والواحدي في أسباب النزول (١٨)، وزاد السيوطي نسبته في الدر (٤/ ٣٣١، ٣٣٠) لابن أبي شيبة وإسحاق بن راهوية وابن منيع في مسنده وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٦):" رواه عبد الله بن أحمد والطبراني، وفيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ثقة سيئ الحفظ، وبقية رجاله ثقات ".

(٤) ذكره يحيى بن سلام كما في تفسير ابن أبي زمنين (٢٤٢/٢).

(٥) ينظر: الكشاف (٢٤١/٢)، أحكام القرآن لابن الفرس (١١٣/٢)، زاد المسير (٢٣٠/٢)، التفسير الكبير (٥٢١/١٥)، التسهيل لابن جزي (٣٣١/١)، الجواهر الحسان للثعلبي (١٦١/٣)، السراج المنير للشربيني (٥٨٦/١)، تفسير المنار (٧٦/١١)، التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء (١٦٥٣/٣).

(٦) البحر المحيط (٣٦٥/٥)، ونسبه أبو زهرة في زهرة التفاسير (٣٤٩٤/٧) إلى أكثر العلماء.

والقول بمكيتهما هو الأقرب – والله أعلم – ومعانيهما تعين على ذلك، لما فيهما من حرص الرسول ﷺ على قومه ورحمته بهم وهذا مناسب في المرحلة المكية(١). ولعل قوله سبحانه: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾. إلخ يشير إلى ذلك من حيث عدم الأمر فيه بالجهاد عند تولي الأعداء وإعراضهم(٢).

ولا يعارضه القول بأنهما آخر ما نزل من القرآن الكريم فقد أجيب عنه بأنهما آخر ما نزل من سورة (براءة) لا آخر مطلق(٣).

على أنه قد اختلف في آخر آية نزلت فجاء في روايات أخرى ذكر آيات غير هاتين الآيتين قيل إنهما آخر ما نزل من القرآن(٤)، وهذا لأنه راجع إلى الاجتهاد إذ لم يرد عن النبي ﷺ فيه شيء.

قال البيهقي [ت:٤٥٨هـ]: "قلت: هذا الاختلاف يرجع- والله أعلم- إلى أن كل واحد منهم أخبر بما عنده من العلم، أو أراد أن ما ذكر من أواخر الآيات التي نزلت. والله أعلم"(٥).

وقال أبو بكر الباقلاني [ت:٤٠٣هـ]: "وليس في شيء من الروايات ما رفع إلى النبي عليه السلام، وإنما هو خبر عن القائل به، وقد يجوز أن يكون قال بضرب من الاجتهاد، وتغليب الظن وبظاهر الحال، وليس العلم بذلك أيضا من فرائض الدين، ولا هو مما نص الرسول على أمر فيه بينه وأشاعه وأذاعه وقصد إلى إيجابه وإقامة الحجة به. فلذلك لم يجز ظهوره عنه وحصول الاتفاق عليه وثبوت العلم به قطعا يقينا.

وقد يحتمل أن يكون كل قائل ممن ذكرنا يقول إن ما حكم بأن ما ذكره آخر ما نزل لأجل أنه آخر ما سمعه من رسول الله ﷺ في اليوم الذي مات فيه، أو ساعة موته على بُعد ذلك، أو قبل مرضه الذي مات فيه بيومين أو ساعة، وقد سمع منه غيرُه شيئا نزل بعد ذلك وإن لم يسمعه هو لمفارقته له ونزول الوحي بقرآن بعده، وقد يحتمل أيضا أن تنزل الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول ﷺ عليهم مع آيات نزلت معها، فيؤمر برسم ما نزل معها وتلاوتها عليه بعد رسم ما أنزل أخيراً وتلاوته، فيظن سامع

---

(١) ينظر: زهرة التفاسير (٣٤٩٤/٧)، تفسير المنار (٧٦/١١)، المكي والمدني في القرآن الكريم لعبد الرزاق حسين (٥٨٢/٢)

(٢) مناهل العرفان (٩٩/١)

(٣) ينظر: المرجع السابق (٩٩/١)، تاريخ نزول القرآن لمحمد رأفت سعيد (٥٣)، دراسات في علوم القرآن الكريم لفهد الرومي (٢٤٠)

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٢٠٩/١)، الإتقان في علوم القرآن (١٠٣/١)، المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبو شهبة (١١٧)

(٥) دلائل النبوة (١٣٩/٧)

ذلك أنه اخر ما نزلت في الترتيب، ويحتمل أيضا أن ينزل عليه آية في الليل منع من أدائها وشغل بعذر عن ذلك وانتظر النهار، فلما أصبح أنزلت عليه آية لا شيء نزل عليه بعدها، ثم قيل له: اتل عليهم هذه أولا واكتبها ثم اتل عليهم بعد ذلك ما كان نزل قبلها ومرهم برسمه وإثباته، هذا ما لا سبيل إلى منعه وإحالته، فيظن سامع الأخير من القرآن أنه آخر ما أنزل عليه، وليس كذلك، بل قد أنزل بعده ما قدمت تلاوته وإثباته"(١).

المطلب الثاني: مناسبتها لما قبلها

التمس بعض المفسرين مناسبة ختم سورة التوبة بهاتين الآيتين ومناسبتهما لما قبلهما.

فأشار بعضهم إلى ما حوته السورة من التكاليف الشاقة التي يعسر تحملها فختم بما يوجب سهولة تحل تلك التكاليف.

قال الرازي: "اعلم أنه تعالى لما أمر رسوله ﷺ أن يبلغ في هذه السورة إلى الخلق تكاليف شاقة شديدة صعبة يعسر تحملها، إلا لمن خصه الله تعالى بوجوه التوفيق والكرامة، ختم السورة بما يوجب سهولة تحمل تلك التكاليف، وهو أن هذا الرسول منكم، فكل ما يحصل له من العز والشرف في الدنيا فهو عائد إليكم. وأيضا فإنه بحال يشق عليه ضرركم وتعظم رغبته في إيصال خير الدنيا والآخرة إليكم، فهو كالطبيب المشفق والأب الرحيم في حقكم، والطبيب المشفق ربما أقدم على علاجات صعبة يعسر تحملها، والأب الرحيم ربما أقدم على تأديبات شاقة، إلا أنه لما عرف أن الطبيب حاذق، وأن الأب مشفق، صارت تلك المعالجات المؤلمة متحملة، وصارت تلك التأديبات جارية مجرى الإحسان. فكذا هاهنا لما عرفتم أنه رسول حق من عند الله، فاقبلوا منه هذه التكاليف الشاقة لتفوزوا بكل خير، ثم قال للرسول ﷺ: فإن لم يقبلوها بل أعرضوا عنها وتولوا فاتركهم ولا تلتفت إليهم وعوّل على الله وارجع في جميع أمورك إلى الله ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾. وهذه الخاتمة لهذه السورة جاءت في غاية الحسن ونهاية الكمال"(٢).

وقال القمي النيسابوري [ت:٨٥٠هـ]: "لما أمر رسوله في هذه السورة بتبليغ تكاليف شاقة يعسر تحملها ختم السورة بما يهون الخطب في تحملها"(٣).

وقيل إن المناسبة أنه لما جاءت البراءة من المشركين أول السورة ثم ذكر فيها أحوال المنافقين ختمها بتعداد النعم على العرب والمن عليهم بكونه جاءهم رسول من جنسهم.

---

(١) الانتصار للقرآن (٢٤٦/١، ٢٤٥)

(٢) التفسير الكبير (١٧٧/١٦)

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥٥٠/٣)، وينظر فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن (٤٣١/٥)، التفسير المنير لوهبة الزحيلي (٨٩/١١)

قال أبو حيان: "لما بدأ السورة ببراءة الله ورسوله من المشركين، وقص فيها أحوال المنافقين شيئا فشيئا، خاطب العرب على سبيل تعداد النعم عليهم والمن عليهم بكونه جاءهم رسول من جنسهم، أو من نسبهم عربيا قرشيا يبلغهم عن الله متصف بالأوصاف الجميلة من كونه يعز عليه مشقتهم في سوء العاقبة من الوقوع في العذاب، ويحرص على هداهم، ويرأف بهم، ويرحمهم"(١).

وقيل إن المناسبة تتمثل في دواعي محبة النبي ﷺ والاستجابة لدعوته وإن شق عليهم ما جاءهم به.

قال البقاعي [ت:٨٨٥هـ]: "ولما أمر ﷺ أن يبلغ هذه الأشياء الشاقة جداً من أمر هذه السورة، وكان من المعلوم أنه لا يحمل ذلك إلا من وفقه الله تعالى، وأما المنافقون فيكرهون ذلك وكان انصرافهم دالاً على الكراهة، عرفهم أن الأمر كان يقتضي توفر دواعيهم على محبة هذا الداعي لهم المقتضي لملازمته والبعد عما يفعلونه به من الانصراف عنه، وأن أحواله الداعية لهم إلى محبته أعظم من أحوال آبائهم التي أوجبت لهم منهم من المحبة وعليهم من الحقوق ما هم مفتخرون بالتلبس به والمغالاة فيه، وأن كل ما يحصل بهذا القرآن من العز والشرف في الدنيا فهو لكل من آمن به فقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾. ولما كان الرسول يجب إكرامه والوقوف في خدمته لأجل مرسله ولو تجرد عن غير ذلك الوصف، شرع يذكر لهم من أوصافه ما يقتضي لهم مزيد إكرامه فقال: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي ترجعون معه إلى نفس واحدة بأنكم لأب قريب، وذلك أقرب إلى الألفة وأسرع إلى فهم الحجة وأبعد من المحل واللجاجة ..."(٢).

وقيل إن المناسبة ما ذكر في السورة من محاسن النبي ﷺ .

قال ابن عجيبة [ت:١٢٢٤هـ]: "ختم السورة بذكر محاسن نبيه- عليه الصلاة والسلام- لما ظهر عليه في هذه السورة من الرحمة والرأفة بالمؤمنين، ومن العفو والصفح عن المعتذرين"(٣).

وقيل إن المناسبة إن الآيتين ختم بهما على عادة القرآن تعقيبا للشدة بالرفق وللغلظة بالرحمة.

قال ابن عاشور [ت:١٣٩٣هـ]: " كانت هذه السورة سورة شدة وغلظة على المشركين وأهل الكتاب والمنافقين من أهل المدينة ومن الأعراب، وأمراً للمؤمنين بالجهاد، وإنحاء على المقصرين في شأنه. وتخلل ذلك تنويه بالمتصفين بضد ذلك من المؤمنين الذين هاجروا والذين نصروا واتبعوا الرسول في ساعة

---

(١) البحر المحيط (٥٣٢/٥)، وينظر: التفسير المنير (٨٩/١١)

(٢) نظم الدرر في تناسب الآي والسور (٥٦/٩، ٥٥)

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٤٤٥/٢)

العسرة. فجاءت خاتمة هذه السورة آيتين بتذكيرهم بالمنة ببعثة مُحَمَّد ﷺ والتنويه بصفاته الجامعة للكمال. ومن أخصها حرصه على هداهم، ورغبته في إيمانهم ودخولهم في جامعة الإسلام ليكون رؤوفا رحيما بهم ليعلموا أن ما لقيه المعرضون عن الإسلام من الإغلاظ عليهم بالقول والفعل ما هو إلا استصلاح لحالهم. وهذا من مظاهر الرحمة التي جعلها الله تعالى مقارنة لبعثة رسوله ﷺ بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. بحيث جاء في هاتين الآيتين بما شأنه أن يزيل الحرج من قلوب الفرق التي نزلت فيهم آيات الشدة وعوملوا بالغلظة تعقيبا للشدة بالرفق وللغلظة بالرحمة، وكذلك عادة القرآن. فقد انفتح بهاتين الآيتين باب حظيرة الإيمان والتوبة ليدخلها من وفقه الله إليها"(١).

وقيل إن المناسبة أن السورة في النفاق والمنافقين فجاء التنبيه إلى أن القتال وكشف المنافقين رحمة للعالمين.

قال أبو زهرة [ت:١٣٩٤هـ]: "وقد اختار الله أن يكون وضعها في آخر سورة براءة؛ ولذلك حكمة نتلمسها، وقد تلمسناها فقلنا إنها جاءت في ختام سورة كلها في النفاق والمنافقين؛ ليتنبه القارئ للقرآن الكريم إلى أن القتال وكشف النفاق رحمة للعالمين"(٢).

وقال أيضا: "وقد ختم الله تعالى السورة التي كثر فيها ذكر القتال وانبثاق النفاق بما يدل على أن محمدًا ﷺنبي الرحمة فإذا كان قد قاتل، وكشف النفاق وأهله فذلك من باب الرحمة بعباده والرأفة بهم؛ لأن قتال المفسدين وكف فسادهم رحمة بالأبرار المتقين، فليس من الرحمة بالناس أن يترك الشر يستشري، والرذائل تتحكم، والاعتداء يسيطر، فإن الضعفاء فريسة المستضعفين، والفساد يتضمن ظلم الذين لَا يستطيعون دفعه، وكشف النفاق رد لمكايد المنافقين، ولقد قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٥١﴾ [البقرة: ٢٥١]"(٣).

وهذه المناسبات المذكورة صالحة جميعها ولا تعارض بينها، وهي تبرز صفة النبي ﷺ ومكانته وحميد أخلاقه.

المبحث الثاني: التفسير التحليلي لخاتمة سورة التوبة

قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ .

قوله ﷻ: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾. هذه منَّة من الله تعالى إذ بعث رسوله ﷺ، ولقد أكد ذلك بـ (اللام) وبـ (قد)، و (اللام) لام قسم مقدر و (قد) حرف تحقيق. أي والله لقد جاءكم

---

(١) التحرير والتنوير (٧٠/١١)

(٢) زهرة التفاسير (٣٤٩٤/٧)

(٣) المرجع السابق (٣٤٩٣/٧)

أيها القوم رسول يعني النبي ﷺ، وجملة (جاءكم رسول) لا محل لها جواب القسم المقدر. وجملة القسم لا محل لها استئنافية(١).

والخطاب للعرب أو لقريش خاصة أي من قبيلتكم حيث تعرفون حسبه وصدقه وأمانته خاطب العرب على سبيل تعداد النعم عليهم والمنَّ عليهم بكونه جاءهم رسول من جنسهم، أو من نسبهم عربيا قرشيا يبلغهم عن الله متصف بالأوصاف الجميلة من كونه يعز عليه مشقتهم في سوء العاقبة من الوقوع في العذاب، ويحرص على هداهم، ويرأف بهم، ويرحمهم.

قال ابن عباس: "ليس في العرب قبيلة إلا وقد ولدت النبي ﷺ"(٢). فكأنه قال: يا معشر العرب لقد جاءكم رسول من بني إسماعيل، إذ جاء بلسانهم وبما يفهمونه من الأغراض والفصاحة وشرفوا به غابر الأيام، وهذا قول جمهور المفسرين(٣).

وقال الزجّاج: هي مخاطبة لجميع العالم، والمعنى لقد جاءكم رسول من البشر(٤) أي من جنسكم.

فالرسول من أَنْفُس من خوطب بهذا الكلام إذ هي كاف الخطاب. ولما خُوطب به أولا قريش ثم العرب ثم سائر الأمم صار يخص ويعم بحسب ذلك(٥).

وقوله من (أَنْفُسكم) يقتضي مدحا لنسب النبي ﷺ، وقد جاء في طيب أصله ما رواه واثلة بن الأسقع رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)(٦).

وقرئ: (من أَنْفَسِكم) بفتح الفاء أي من أشرفكم، ومن خياركم، ومنه قولهم: هذا أنفس المتاع؛ أي: أجوده وخياره، واشتقه من النفس؛ وهي أشرف ما في الإنسان(٧).

---

(١) ينظر: الجدول في إعراب القرآن (٦٨/١١)، المجتبى من مشكل إعراب القرآن (٤٢١/٢)، التفسير الواضح الميسر للصابوني (٥٠٠)

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٩٥/٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٢٧/٤) إلى عبد بن حميد، والحارث بن أبي أسامة في مسنده، وابن المنذر، وابن مردويه، وأبو نعيم في دلائل النبوة.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (١٠٠/٣)، تفسير المنار (٧٦/١١)

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤٧٧/٢)

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٨٩/١٦)، وينظر: تفسير المنار (٧٦/١١)، التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء (٤٠/٤)

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ح (٢٢٧٦)

(٧) وهي قراءة شاذة تروى عن النبي ﷺ، وابنته فاطمة وابن عباس رضي الله عنهم، وقراءة أبي العالية، والضحاك، وابن محيصن، ومحبوب، عن أبي عمرو وعبد الله بن قُسَيط المكي، ويعقوب من بعض طرقه. ينظر: مختصر ابن خالويه (٦٠)، المحتسب

وبمجموع الآيتين، وكل آية منهما قرآن بذاتها، أنه بعث فيكم رسولا منكم، لَا من غيركم، وهذه مِنَّة، ومن أعلاكم نسبا وشرفا وهذا شرف للرسالة، والنبيون يبعثون من أعلى الأوساط(١).

ونبينا ﷺ دعوة نبي الله إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾ [البقرة: ١٢٩].

وقد منَّ الله على المؤمنين إذ قال: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤](٢).

وقوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾. ما مصدرية، أي شاق شديد عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه، فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب، بعذاب الدنيا بالسيف ونحوه أو بعذاب الآخرة بالنار أو بمجموعها، لكونه من جنسكم ومبعوثا لهدايتكم(٣). يقال: عَزَّ عَلَيَّ كذا: أي صَعُبَ، والعنتُ لقاءُ الشَدةِ. ولهذا جاء في الحديث المروي من طرق عنه ﷺ أنه قال: (بعثت بالحنيفية السمحة)(٤). وفي الحديث الصحيح: (إن الدين يسر)(٥). وشريعته ﷺ كلها سهلة سمحة كاملة، يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما [ت:٦٨هـ]:"(عزيزٌ عليه ما عَنِتُّم) ما ضللتم"(٦). وقال قتادة: "عزيز عليه عنت مؤمنهم ".(٧) وقول ابن عباس أولى لعمومه.

يقول الطبري [ت:٣١٠هـ]: "وأولى القولين في ذلك بالصواب قول ابن عباس؛ وذلك أن الله عمَّ بالخبر عن نبي الله أنه عزيز عليه ما عنت قومه، ولم يخصص أهل الإيمان به، فكان ﷺ كما وصفه الله به عزيزا عليه عنت جميعهم فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يوصف ﷺبأنه كان عزيزا عليه عنت جميعهم

في شواذ القراءات لابن جني (٣٠٦/١)، البحر المحيط (٥٣٣/٥)

(١) زهرة التفاسير (٣٤٩٤/٧)

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٢٤١/٤)، أضواء البيان (١٤٩/٢)، زهرة التفاسير (٣٤٩٤/٧)

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١١٤/٤)، فتح القدير (٤٧٦/٢)

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٦٢٣/٣٦) ح (٢٢٢٩١) عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه. وفي (٣٤٩/٤١) ح (٢٤٨٥٥) وعن عائشة رضي الله عنها بسند حسن، وإسناد الأول ضعيف كما قال محققو المسند.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدين يسر ح (٣٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٩٨/١٢)

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٩٨/١٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩١٨/٦)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٣٣/٤) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ.

وهو يقتل كفارهم ويسبي ذراريهم ويسلبهم أموالهم؟ قيل: إن إسلامهم لو كانوا أسلموا كان أحب إليه من إقامتهم على كفرهم وتكذيبهم إياه حتى يستحقوا ذلك من الله، وإنما وصفه الله جل ثناؤه بأنه عزيز عليه عنتهم، لأنه كان عزيزا عليه أن يأتوا ما يعنتهم؛ وذلك أن يضلوا فيستوجبوا العنت من الله بالقتل والسبي"(١).

وقال الشنقيطي[ت:١٣٩٣هـ]: "مِنْ أَشَدِّ ما يؤذيه: امتناعُهم من الإيمانِ؛ لأنه صلواتُ الله وسلامُه عليه مجبولٌ على الشفقةِ، وقد وصفَه اللَّهُ بالرأفةِ والرحمةِ بالمؤمنين في قولِه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾. فمعنَى ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي يعزُّ عليه وَيَعْظُمُ وَيَكْبُرُ عليه كُلُّ ما يصيبكم منه العنت، وهو المشقةُ والأذى ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ إلى أن قال: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾. كان إذا امْتَنَعُوا من الإيمانِ أَسِفَ وَحَزِنَ حُزْنًا شديدًا، كما قال له اللَّهُ: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [الشعراء: ٣]. أي: لأجلِ أن لا يكونوا مؤمنين. و (الباخع) معناه: المهلكُ، أي: فلعلك مهلكُ نفسك أَسَفًا لأجلِ أنهم لم يؤمنوا. ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾ [الكهف: ٦]. أي حُزْنًا شديدًا عليهم. ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨]. ونحو ذلك من الآيات"(٢).

وقوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾. احتيج إلى الإضمار لأن الحرص يمتنع أن يكون متعلقا بذواتهم. أي: حريص على هدايتكم وصلاحكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم. والحرص على الشيء: الشح عليه أن يضيع ويتلف(٣).

ولما كانت الرأفة والرحمة خاصة جاء متعلقها خاصا وهو قوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

معناه مبالغ في الشفقة، أي رفيق بجميع المؤمنين رحيم بهم، بما يأمرهم به من الهداية ويؤثره لهم من الصلاح. وبما يضعه عنهم من المشاق ويعفو عنهم من الهفوات(٤).

قال أبو عبيدة: "الرأفة أرق الرحمة"(٥). والحصر هنا له فائدة وهي أنه لا رأفة ولا رحمة إلا بالمؤمنين.

---

(١) تفسير الطبري (٩٨/١٢)

(٢) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (١٧٨/١، ١٧٧)

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن (٥٦٤)، تفسير البغوي (١١٦/٤)، التفسير الكبير (١٧٨/١٦)، الجامع لأحكام القرآن (٣٠٢/٨)، البحر المحيط (٥٣٤/٤)، تفسير ابن كثير (٢٤١/٤)

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٩٦/١٢)، تفسير السمرقندي (١٠١/٢)، النكت والعيون (٤١٩/٢)

(٥) مجاز القرآن (٢٧٠/١)

قال الرازي: "يفيد الحصر بمعنى أنه لا رأفة ولا رحمة له إلا بالمؤمنين. فأما الكافرون فليس له عليهم رأفة ورحمة، وهذا كالمتمم لقدر ما ورد في هذه السورة من التغليظ كأنه يقول: إني وإن بالغت في هذه السورة في التغليظ إلا أن ذلك التغليظ على الكافرين والمنافقين. وأما رحمتي ورأفتي فمخصوصة بالمؤمنين فقط"(١).

فكل ما يدعوهم إليه من العمل بشرائع الله تعالى فهو دليل على ثبوت هذه الصفات الكاملة والعواطف السامية له ﷺبنص الله تعالى، وهو أرحم بالمؤمنين وأرأف، وكل شاق منها كالجهاد فهو منجاة مما هو أشق منه، ولا شيء من الشاق منها يبالغ حد العنت، للقطع في هذا الدين بنفي العسر والحرج. وتخصيص رأفته ورحمته ﷺ بالمؤمنين في مقابلة ما أمر به من الغلظة على الكفار والمنافقين – لا يعارض كون رسالته رحمة للعالمين، كما هو ظاهر، فإن هذه الرحمة مبذولة لجميع الأمم، لعموم بعثته ﷺ ولكن منهم من قبلها ومنهم من ردها.(٢).

والرأفة انفعال النفس بالمحبة والرفق بالناس، وهي صفة ضد الفظاظة والغلظ، وهما ينفران ولا يقربان، ولقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. والرحمة، أوسع شمولا من الرأفة، إذ إن الرحمة النبوية تكون بالكافة، وقد يكون العقاب منافيا للرأفة، وهو من مقتضيات الرحمة، ألا ترى أن الله ﷻ يقول في حد الزاني: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [النور: ٢]"(٣).

قال ابن الأثير [ت:٦٠٦هـ]: "والرَّأْفَةُ أرقُّ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَلَا تَكَادُ تقعُ فِي الكَراهة، وَالرَّحْمَةُ قَدْ تَقَعُ فِي الكَراهة للمصْلحة"(٤).

وقال القمي النيسابوري: "فمن رأفته أمر بالرفق كما قال: (إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق)(٥). ومن رحمته قيل له: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وهاهنا نكتة وهي أن رأفته ورحمته لما كانت مخلوقة اختصت بالمؤمنين فقط، وكانت رحمته تعالى ورأفته للناس عامة إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ. ونكتة أخرى هي أن رحمته ﷺ عامة للعالمين بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً

---

(١) التفسير الكبير (١٧٩/١٦)

(٢) تفسير المنار (٧٢/١١)، وينظر: تفسير المراغي (٥٥/١١)

(٣) زهرة التفاسير (٣٤٩٦/٧، ٣٤٩٥)

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (١٧٦/٢)

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٣٤٦/٢٠) ح (١٣٠٥٢)، قال محققو المسند:" حسن بشواهده ".

لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وأما رحمته المضمومة الى الرأفة فخاصة بالمؤمنين، وكأن الرأفة إشارة إلى ظهور أثر الدعوة في حقهم، فالمؤمنون أمة الدعوة والإجابة جميعا وغيرهم أمة الدعوة فقط"(١).

وقد أعطاه الله تعالى في هذه الآية اسمين من أسمائه، وهو في نهاية الكرامة(٢). ولم يجمعهما لأحد من الأنبياء قبله(٣).

ثم خاطب نبيه ﷺ بعد تقريره وامتنانه عليهم ببعثة رسوله فقال ﷻ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ .

الفاء في قوله: (فإن تولوا) للتفريع على إرسال النبي ﷺ صاحب هذه الصفات إليهم، فإن صفاته المذكورة تقتضي من كل ذي عقل سليم من العرب الإيمان به واتباعه؛ لأنه من أنفسهم ومحب لخيرهم رؤوف رحيم بمن يتبعه منهم، فتفرع عليه أنهم محقوقون بالإيمان به، فإن آمنوا فذاك وإن لم يؤمنوا فإن الله حسبه وكافيه.

وقد دل الشرط على مقابله لأن (فإن تولوا) يدل على تقدير ضده وهو إن أذعنوا بالإيمان.

وبعد التفريع التفت الكلام من خطاب العرب إلى خطاب النبي ﷺ بما كان مقتضى الظاهر أن يخاطبوا هم به اعتمادا على قرينة حرف التفريع فقيل له: (فإن تولوا فقل حسبي الله). والتقدير: فإن توليتم عنه فحسبه الله وقل حسبي الله. فجيء بهذا النظم البديع الإيجاز مع ما فيه من براعة الإيماء إلى عدم تأهلهم لخطاب الله على تقدير حالة توليهم(٤).

الله تعالى يخاطب نبيه في هذه الآية مسليا ومرشدا بقوله: إن تولى يا مُحَمَّد هؤلاء الذين جئتهم بالحق من عند ربك من قومك، فأدبروا عنك ولم يقبلوا ما أتيتهم به من النصيحة في الله وما دعوتهم إليه من النور والهدى فأعرضوا عن الإيمان وناصبوك الحرب، بعد هذه الحالة التي من الله عليهم بها من إرسالك إليهم واتصافك بهذه الأوصاف الجميلة(٥).

والتولي هو الإعراض، وأصله الإدبار، وأن يجعل جسمه موَّليا وجه من يطالبه بقول أو عمل، والمعنى أنهم أعرضوا إعراضا شديدا واضحا، كمن يعرض عن القول بتولية جسمه، واتجاهه في اتجاه غير

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥٥٢/٣)

(٢) تفسير السمعاني (٣٦٣/٢)

(٣) عزاه بعض المفسرين للحسين بن الفضل، وعزاه الواحدي والقمي النيسابوري لابن عباس ﷺ. ينظر: تفسير الثعلبي (١١٥/٥)، الجامع لأحكام القرآن (٣٠٢/٨)، التفسير الوسيط (٥٣٦/٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥٥١/٣)

(٤) التحرير والتنوير (٧٣/١١)، وينظر: زهرة التفاسير (٣٤٩٦/٧)

(٥) تفسير الطبري (١٠٠/١٢)، تفسير البغوي (١١٦/٤)، البحر المحيط (٥٣٤/٥)

اتجاه من يواجهه بالقول[١]. وقد شبهت حال الإعراض الفكري، بحال التولي الحسي، لكمال معارضتهم للشرع[٢].

وقوله: ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ أي: فقل مستعينا بالله متوكلا عليه: (حسبي الله) ومعناه يكفيني الله[٣]. وينصرني عليكم فإنه يعينك عليهم ويكفيك أمر توليهم وما يتبعه من عداوتهم وصدهم عن سبيله، وقد بلّغت وما قصرت[٤]. والحسب الكافي، أي كافيك شر إعراضهم لأنهم إن أعرضوا بعد هذا فقد أعرضوا عن حسد وحنق. وتلك حالة مظنة السعي في الكيد والأذى.

ومعنى الأمر بأن يقول: حسبي الله أن يقول ذلك قولا ناشئا عن عقد القلب عليه، أي فاعلم أن حسبك الله وقل حسبي الله، لأن القول يؤكد المعلوم ويرسخه في نفس العالم به، ولأن في هذا القول إبلاغا للمعرضين عنه بأن الله كافيه إياهم[٥].

وإنما كان كافياً لأنه (لا إله إلا هو) فلا مكافئ له ولا رادّ لأمره ولا معقب لحكمه[٦]. ومعناها لا معبود بحق سواه. استئناف كالدليل لما قبله لأن المتوحد بالألوهية هو الكافي المعين، أو في موضع الحال وهي ثناء بالوحدانية[٧].

قال الرازي: "واعلم أن المقصود من هذه الآية بيان أن الكفار لو أعرضوا ولم يقبلوا هذه التكاليف، لم يدخل في قلب الرسول حزن ولا أسف، لأن الله حسبه وكافيه في نصره على الأعداء، وفي إيصاله إلى مقامات الآلاء والنعماء لا إله إلا هو، وإذا كان لا إله إلا هو وجب أن يكون لا مبدئ لشيء من الممكنات ولا محدث لشيء من المحدثات إلا هو، وإذا كان هو الذي أرسلني بهذه الرسالة، وأمرني بهذا التبليغ كانت النصرة عليه والمعونة مرتقبة منه"[٨].

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ﴾ يعني به واثقٌ كما قال مقاتل بن سليمان[٩]. أي على الله وحده توكلت واعتمدت وفوضت جميع أموري إليه لا إلى غيره، فلا أَرجو سواه، ولا أَخاف إِلا منه، ولا أَستعين إِلا به.

---

(١) التفسير الكبير (٢٥٩/١)

(٢) زهرة التفاسير (٣٤٩٦/٧)

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (٣٢٠٢/٤)، التسهيل (٣٥١/١)

(٤) تفسير المراغي (٥٥/١١)

(٥) التحرير والتنوير (٧٤/١١)

(٦) السراج المنير (٦٥٣/١)

(٧) تفسير الألوسي (٤٩/٦)، تفسير السعدي (٣٥٦)، التحرير والتنوير (٧٤/١١)

(٨) تفسير الرازي (١٧٩/١٦)

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان (٢٠٥/٢)، وينظر: تفسير السمرقندي (١٠١/٢)

وتقديم الجار والمجرور (عليه) على الفعل (توكلت) يفيد القصر، أي أنه لَا يتوكل على أحد من العباد، ما دام الله تعالى كافله وعاصمه من الناس، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧](١).

والتوكل: صدق اعتماد القلب على الله ﷻ في استجلاب المصالح ودفع المضارّ من أمور الدّنيا والآخرة، وكلة الأمور كلّها إليه، وتحقيق الإيمان بأنّه لا يعطي ولا يمنع ولا يضرّ ولا ينفع سواه(٢).

وقال الجرجاني [ت:٨١٦هـ]: "التّوكّل هو الثّقة بما عند الله واليأس عمّا في أيدي النّاس"(٣).

قوله ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾. أي هو مالك كل شيء وخالقه، لأنه رب العرش العظيم، الذي هو سقف المخلوقات وجميع الخلائق من السموات والأرضين وما فيهما وما بينهما تحت العرش مقهورون بقدرة الله تعالى، وعلمه محيط بكل شيء، وقدره نافذ في كل شيء، وهو على كل شيء وكيل(٤).

قال ابن عباس ﷺ: "إنما سمي العرش عرشا لارتفاعه"(٥).

وخص العرش لأنه أعظم المخلوقات فيدخل فيه ما دونه إذا ما ذكره. وذكر في معرض شرح قدرة الله وعظمته، وكان الكفار يسمعون حديث وجود العرش وعظمته من اليهود والنصارى، ولا يبعد أنهم كانوا سمعوا ذلك من أسلافهم(٦).

قال الشنقيطي: "أمر تعالى في هذه الآية الكريمة نبيه ﷺ بالتوكل عليه جل وعلا. ولا شك أنه ممتثل ذلك، فهو سيد المتوكلين عليه صلوات الله وسلامه، والتوكل على الله تعالى، هو شأن إخوانه من المرسلين صلوات الله عليهم وسلامه. كما بين تعالى ذلك في آيات أخر، كقوله عن هود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ [هود: ٥٤- ٥٦]. وقوله تعالى عن نوح: ﴿۞وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ

---

(١) ينظر: تفسير الرازي (١٧٩/١٦)، الجامع لأحكام القرآن (٣٠٢/٨)، فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن (٤٣٣/٥)، زهرة التفاسير (٣٤٩٧/٧)

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب (٤٩٧/٢)

(٣) التعريفات (٧٠)

(٤) تفسير ابن كثير (٢٤٣/٤)

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩١٩/٦)

(٦) البحر المحيط (٥٣٤/٥)

وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ [يونس: ٧١]. وقوله تعالى عن جملة الرسل: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [إبراهيم: ١٢]. ومن أوضح الأدلة على عظم توكل نبينا ﷺعلى الله قوله يوم حنين، وهو على بغلة في ذلك الموقف العظيم:

أنا النبي لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب"(١).

وقراءة العامة بخفض" العظيمِ" نعتا للعرش. وقرى بالرفع صفة للرب(٢).

روى ابن عباس ﷺ أن نبي الله ﷺ كان يقول عند الكرب: (لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض، ورب العرش الكريم)(٣).

وقد ورد في فضل هذه الخاتمة لسورة التوبة حديث: (من قال إذا أصبح وإذا أمسى حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله ما أهمه)(٤).

المبحث الثالث: الهدايات القرآنية في خاتمة سورة التوبة

الهدايات المستنبطة من آيات كتاب الله لا حصر لها، ومن الهدايات التي يمكن أن تؤخذ من خاتمة سورة التوبة ما يأتي:

(١) قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾. افتتاحها بحرفي التأكيد وهما اللام و (قد) مع كون مضمونها مما لا يتطرق إليه الإنكار لقصد الاهتمام بهذه الجملة لأهمية الغرض الذي سيقت لأجله، ولأن فيما تضمنته ما ينكره المنافقون وهو كونه رسولا من الله، ولأن في هذا التأكيد ما يجعل المخاطبين به منزَّلين منزلة المنكرين لمجيئه من حيث إنهم لم ينفعوا

---

(١) أضواء البيان (٢/١٥٠، ١٤٩)

(٢) نسبها ابن خالويه في مختصره (٦١) إلى أهل مكة، وقال أبو حيان في البحر المحيط (٥/٥٣٤):" قرأ ابن محيصن: (العظيمُ) برفع الميم صفة للرب، ورويت عن ابن كثير ".

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الكرب ح (٦٣٤٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب دعاء الكرب ح (٢٧٣٠)

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح ح (٥٠٨١) عن أبي الدرداء ﷺ موقوفا، وأخرجه عن أبي الدرداء ﷺ مرفوعا ابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٧) ح (٧١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٦/١٩٣) ح (٤٠٤٠).

قال المنذري في الترغيب والترهيب (١/٢٥٥) ح (٩٦٨):" رواه أبو داود هكذا موقوفا ورفعه ابن السني وغيره، وقد يقال إن مثل هذا لا يقال من قبل الرأي والاجتهاد فسبيله سبيل المرفوع ".

أنفسهم بهذا المجيء، وفيه أيضا تعريض بتحريضهم على اتباعه وترك مناوأته وأن الأجدر بهم الافتخار به والالتفاف حوله(١).

(٢) شرف الرسول ﷺ من شرف مرسله وهو الله ﷻ ومجيؤه من عند الله يلزم من بعث إليهم بالاستجابة له ويحذرهم من مخلفته ومعصيته.

(٣) قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾. كَونُه ﷺ مِن أنفُسِهم، هي صِفةٌ مُؤَثِّرةٌ في التبليغِ والفَهمِ عنه والتآنُسِ به، والخِطابُ للعَرَبِ، ففي هذه الصِّفةِ التَّنبيهُ على شَرَفِهم، والتَّحريضُ على اتِّباعِه(٢).

(٤) قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ .لم يقُل: (جاءَكم رسولٌ منكم)؛ لأنَّ الأُولى أشَدُّ حَساسيةً، وأعمَقُ صِلَةً، وأدَلُّ على نوعِ الوَشيجةِ التي تربطُهم به، فهو بَضعةٌ مِن أنفُسِهم، تتَّصِلُ بهم صِلةَ النَّفسِ بالنَّفسِ، وهي أعمَقُ وأحسُّ(٣).

(٥) قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَنفَسِكُمْ﴾ .على قراءة فتح الفاء يستدل بها على أن العرب أفضل من العجم وأن قريشاً أفضل العرب وأن بني هاشم أفضل من قريش(٤).

(٦) قوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾. يومئ إلى أن شرعه جاء مناسبا لخلقه فانتفى عنه الحرج والعسر(٥).

(٧) قوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾. في العدول عن الإتيان بلفظ العنت الذي هو المصدر الصريح إلى الإتيان بالفعل مع (ما) المصدرية السابكة للمصدر نكتة. وهي إفادة أنه قد عزَّ عليه عنتهم الحاصل في الزمن الذي مضى، وذلك بما لقوه من قتل قومهم، ومن الأسر في الغزوات، ومن قوارع الوعيد والتهديد في القرآن. فلو أُتي بالمصدر لم يكن مشيرا إلى عنت معين ولا إلى عنت وقع لأن المصدر لا زمان له بل كان محتملا أن يعزَّ عليه بأن يجنبهم إياه، ولكن مجيء المصدر منسبكا من الفعل الماضي يجعله مصدرا مقيدا بالحصول في الماضي، ألا ترى أنك تقدره هكذا: عزيز عليه عنتكم الحاصل في ما مضى. لتكون هذه الآية تنبيها على أن ما لقوه من الشدة إنما هو

---

(١) التحرير والتنوير (٧١/١١)

(٢) البحر المحيط (٥٣٢/٥)

(٣) في ظلال القرآن (١٧٤٣/٣)

(٤) الإكليل في استنباط التنزيل (١٤٦)

(٥) التحرير والتنوير (٧٢/١١)

لاستصلاح حالهم لعلهم يخفضون بعدها من غلوائهم ويرعوون عن غيهم ويشعرون بصلاح أمرهم(١).

(٨) ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾. يفيد الحصر بمعنى أنه لا رأفة ولا رحمة له إلا بالمؤمنين. فأما الكافرون فليس له عليهم رأفة ورحمة، وهذا كالمتمم لقدر ما ورد في هذه السورة من التغليظ كأنه يقول: إني وإن بالغت في هذه السورة في التغليظ إلا أن ذلك التغليظ على الكافرين والمنافقين. وأما رحمتي ورأفتي فمخصوصة بالمؤمنين فقط(٢).

(٩) شدة حرصه ﷺ على أمته وكمال رأفته ورحمته بالمؤمنين، وفي سيرته شواهد كثيرة على ذلك.

(١٠) قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾. جمعت هَذِه الْآيَة سِتّ صِفَات لسيدنا رَسُول الله ﷺ: الرسَالَة والنفاسة والعزة وحرصه على إِيصَال الْخيرَات إِلَى أمته فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة والرأفة وَالرَّحْمَة(٣).

(١١) قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾. وصف الله نبيه ﷺبستة: أوصاف الرسالة وهي صفة كمال الإنسان لما احتوت عليه من كمال ذات الرسول وطهارة نفسه الزكية، وكونه من الخيار بحيث أُهِّل أن يكون واسطة بين الله وبين خلقه، ولما كانت هذه الصفة أشرف الأشياء بُدئ بذكرها(٤).

(١٢) قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾. تدل إضافة ضميره ﷺإلى أمته على اعتزازه بها، وحبه لها وحرصه عليها(٥).

(١٣) قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾. دليل لشهادة أن مُحَمَّدا رسول الله، ومعنى شهادة أن مُحَمَّدا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع(٦).

---

(١) التحرير والتنوير (٧٢/١١)

(٢) التفسير الكبير (١٧٩/١٦)

(٣) عمدة القاري للعيني (٢٨٠/١٨)

(٤) البحر المحيط (٥٣٢/٥)

(٥) التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف لعلي علي صبح (٣٧)

(٦) الدرر السنية لعلماء نجد (١٣٠/١)

(١٤) صفاته ﷺ المذكورة تقتضي من كل ذي عقل سليم من العرب الإيمان به واتباعه لأنه من أنفسهم ومحب لخيرهم رؤوف رحيم بمن يتبعه منهم، فتفرع عليه أنهم محقوقون بالإيمان به فإن آمنوا فذاك وإن لم يؤمنوا فإن الله حسبه وكافيه(١).

(١٥) وصف نبيه الكريم ورسوله الأمين مُحَمَّداً ﷺ بالرحمة حيث يقول ﷻ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾. ما ألطف المقام! لأن الله الذي أرسل رسوله إلى عباده هو الرحمن الرحيم، ومن آثار رحمته أن أرسل هذا الرسول إليهم وهو من أنفسهم، ليس بجني ولا ملك لكيلا يستوحشوا منه – والله أعلم– ثم وصف هذا الرسول بأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم. فجعْلُ نبيه بهذه المثابة ووصفه بهذه الصفات أَثَرٌ من آثار رحمته الكثيرة التي لا ينبغي التفكير في حصرها والإحاطة بها لأنها بلغت حيث بلغ علمه، وهو بكل شيء عليم، هذه النقطة من بحر آثار رحمته سبحانه ومن أسمائه (الملك) ومن مُوجب صفة الملك أن يتصرف في مملكته(٢).

(١٦) ختم الله ﷻ الرسالات السماوية برسالة الإسلام فبعث مُحَمَّد ﷺ رسولا هاديا للبشرية بالرأفة والرحمة والمحبة والإخاء والمساواة والعدل، ليعلم الناس الكتاب والحكمة(٣). ولهذا كان حقُّهُ مُقدَّمًا على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به، وتعظيمه، وتعزيره وتوقيره(٤). والإيمان بالله تعالى قرينته الإيمان بالرسول عليه السلام لاشتمال كلمة الشهادة والأذان والإقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كأنهما شيء واحد غير منفك أحدهما عن صاحبه، حيث انطوى تحت ذكر الإيمان بالله تعالى الإيمان بالرسول عليه السلام(٥).

(١٧) إن من لم يتخلق بالخلق الحسن من الدعاة ينفر الناس من دعوته، ولا يستفيدون من علمه وخبرته؛ لأن من طبائع الناس أنهم لا يقبلون ممن يستطيل عليهم أو يبدو منه احتقارهم، واستصغارهم، ولو كان ما يقوله حقًا(٦).

(١٨) ترغيب الدعاة إلى الله تعالى وأهل العلم بالاقتداء بأخلاق النبي ﷺ والسير على منهجه وطريقه في الدعوة إلى الله تعالى وخاصة مع المخالفين.

---

(١) التحرير والتنوير (٧٣/١١)

(٢) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه لمحمد أمان بن علي جامي (٣٧٥)

(٣) ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لنخبة من علماء التفسير (٢٩٦/٣)

(٤) رحمة للعالمين لسعيد القحطاني (٦٥)

(٥) الكشاف (٢٥٥/٢)

(٦) رحمة للعالمين (١٠٩)

(١٩) النبي ﷺأنصح الخلق للأمة، فدل أمته على كل خير يعلمه لهم، وحذر أمته عن شر ما يعلمه لهم؛ فكل عمل لم يشرعه فليس من الدين(١).

(٢٠) من ثمرات الإيمان استشعارُ الإنسان عظمة الله ﷻ وجلاله وكماله، مما يدفع الإنسان إلى الخوف واللجوء إليه والتقرب إليه حبا وتعظيما ومهابة وإجلالا، وكل ذلك يؤثر في حياة المؤمن تأثيرا كبيرا يدفعه إلى السلوك القويم رجاء ثواب الله تعالى وخوف عقابه، كما أنه يملأ قلبه حبا للخير فيسعى إلى دعوة غيره بالتي هي أحسن حتى يشترك معه في تحصيل هذا الخير، لذا قال الله تعالى في وصف الرسول ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾(٢).

(٢١) تأمل هذه الآية وما فيها من أوصافه الكريمة ومحاسنه الجمة التي تقتضي أن ينصح لأمته، ويبلغ البلاغ المبين، ويسد الطرق الموصلة إلى الشرك، ويحمي جناب التوحيد غاية الحماية، ويبالغ أشد المبالغة في ذلك لئلا تقع الأمة في الشرك، وأعظم ذلك الفتنة بالقبور، فإن الغلو فيها هو الذي جر الناس في قديم الزمان وحديثه إلى الشرك، لا جرم فعل النبي ﷺ ذلك، وحمى جناب التوحيد حتى في قبره الذي هو أشرف القبور، حتى نهى عن جعله عيدًا، ودعا الله أن لا يجعله وثنًا يعبد(٣).

(٢٢) الرضا بنبوة الرسول ورسالته، وأتباعه من أعظم ما يثمر الإيمان، ويذوق به العبد حلاوته(٤).

(٢٣) قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾. فيه أنَّه إلى اللهِ تعالَى تنتهي القوةُ والملكُ والعظمةُ والجاهُ، وهو حسبُ مَن لاذَ به، وحسبُ مَن والاه، فختامُ سورةِ القتالِ والجهادِ أن الارتكانَ إلى اللهِ وَحْدَه، والاعتمادَ على اللهِ وَحْدَه، واستمدادَ القوَّةِ مِن اللهِ وَحْدَه(٥).

(٢٤) قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾. في هذه الآية إشارة بمقام الرسول ﷺ وتعظيم لشأنه حيث تولى الله ﷻ حفظه وحمايته من شر أعدائه المشركين(٦).

---

(١) الدرر السنية (١٠١/١١)

(٢) أركان الإيمان لعلي الشحود (٤٤)

(٣) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد الوهاب (٢٩٤)

(٤) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان لعبد الرحمن السعدي (٦١)

(٥) في ظلال القرآن (١٧٤٣/٣)

(٦) التفسير الواضح الميسر (٥٠٠)

(٢٥) إن أعرض الناس عن دعوة النبي فهو يستنصر بالله المعين الكافي ويكتفي باللجوء إليه في الدعاء والعبادة والإعانة، والخضوع والتذلل، لأن الله رب العرش العظيم، والناس مقهورون تحت العرش بقدرة الله تعالى، وعلمه محيط بكل شيء، وقدره نافذ في كل شيء، وهو على كل شيء وكيل(١).

(٢٦) فضيلة التوكل على الله تعالى وتأثيره العظيم في ثبات الداعية وقيامه بدعوته.

(٢٧) على الداعية إلى الله تعالى ألا يصيبه الكسل والفتور أو الإحباط عند إعراض بعض المدعوين عن دعوته، بل عليه أن يفوض أمره إلى الله تعالى ويتوكل عليه.

(٢٨) قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾. يُفيدُ التَّنوية بهذه الكَلِمة المبارَكة؛ لأنَّه أمَرَ بأن يقولَ هذه الكَلِمةَ بعَينِها، ولم يُؤمَر بمجَرَّدِ التوكُّلِ، ولا أُخبِرَ بأنَّ اللهَ حَسْبُه مجَرَّدَ إخبارٍ، كما في قَولِه تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنفال: ٦٢](٢).

(٢٩) ينبغي لورثته- عليه الصلاة والسلام- الداعين إلى الله، إن يتخلقوا بأخلاقه ﷺ، فيشق عليهم ما ينزل بالمؤمنين من المشاق والمكاره، وييسرون ولا يعسرون عليهم، ويحرصون على الخير للناس كافة، ويبذلون جهدهم في إيصاله إليهم، ويرحمونهم ويشفقون عليهم، فإن ادبروا عنهم استغنوا بالله وتوكلوا عليه، وفوضوا أمرهم إليه، من غير أسف ولا حزن(٣).

(٣٠) قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾. في هاتين الآيتين إشعار بالإيداع والإعذار للناس، وتنبيه إلى المبادرة باغتنام وجود الرسول ﷺ بين أظهرهم ليتشرفوا بالإيمان به وهم يشاهدونه ويقتبسون من أنوار هديه، لأن الاهتداء بمشاهدته والتلقي منه أرجى لحصول كمال الإيمان والانتفاع بقليل من الزمان لتحصيل وافر الخير الذي لا يحصل مثله في أضعاف ذلك الزمان(٤).

(٣١) اختتمت سورة التوبة بإبراز علو مكانة النبي ﷺ، وعناية الله تعالى له بإنزال سكينته عليه وتأييده بنصره(٥).

---

(١) التفسير المنير (٩٢/١١)

(٢) التحرير والتنوير (٧٤/١١)

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة (٤٤٦/٢)

(٤) التحرير والتنوير (٧٤/١١)

(٥) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٣٠٢/٣)

(٣٢) يدل وصف العرش بالعظيم على عظمة الله تعالى وجلالة قدره فلها الأسماء الحسنى والصفات العلى.

(٣٣) تقدم هاتين الآيتين منهجا مختصرا يسلكه الداعية إلى الله تعالى حيث تبرز ما يجب أن يكون عليه من خلق، وتوضح الموقف من المعرضين عن الدعوة.

المبحث الرابع: أثر تطبيق الهدايات القرآنية في خاتمة سورة التوبة على واقع الأمة وسبل تحقيقها

من أهم ما ترشدنا إليه خاتمة سورة التوبة من خلال هداياتها أنها تقدم لنا الأنموذج الصحيح الذي يجب أن يسلكه الدعاة إلى الله تعالى والمربون والمعلمون حتى يظهر أثرهم ويبارك في أعمالهم.

كما أنها تؤكد تعظيم حق النبي ﷺ ومنزلته ومكانته، وما لاقاه في سبيل دعوته، مع تحليه بأشرف الأخلاق وأكملها وبخاصة الرأفة والرحمة بالمؤمنين.

وفيها دعوة لدراسة سيرته – عليه الصلاة والسلام – والنهل من معينها، واستلهام الدروس والعظات منها.

وأنه لا سبيل لرقي الأمة وعزها وانتصارها على أعدائها إلا بالسير على سنة نبينا مُحَمَّد ﷺ ظاهرا وباطنا، والتخلق بأخلاقه الكريمة.

وما نشهده بين وقت وآخر من انتقاص لنبينا وتهجم عليه وعلى دينه يدعونا إلى مراجعة أنفسنا، والنظر في تقصيرنا في الدعوة إلى ديننا والتعريف بنبينا ﷺ وخاصة رحمته وحرصه على أمته، وإبراز ما يدل على ذلك من مواقفة في حياته الشريفة، وأنه أكمل البشر في أخلاقه وحميد صفاته.

وفي اتباع هديه ﷺ مع المدعوين يظهر للداعية قبول دعوته وانتشارها ورأس ذلك المعاملة بالحسنى وتمثل الأخلاق قولا وعملا، والحرص الشديد غلى المدعوين واستفراغ الوسع في وسائل دعوتهم والتأثير عليهم.

وتبرز لنا هذه الخاتمة أثر التوكل على الله واستمداد العون منه في تحقيق انتصار الدعوة والحاجة الملحة إلى أن يشعر الداعية أنه لا غنى له عن الله إن هو أراد التوفيق والسداد في دعوته.

ومن أهم سبل تحقيق هذه الهدايات:

(١) تدريس السيرة النبوية وتقديمها لعامة الناس بما يناسبهم، مع التركيز على الجوانب الأخلاقية والمواقف المؤثرة، والأمثلة التطبيقية.

(٢) إعداد برامج علمية ودورات تطبيقية في تعظيم حق النبي ﷺ .

(٣) تقديم برامج إعلامية متنوعة تعنى بالآداب وتعزز القيم والأخلاق الإسلامية الأصيلة، مع العناية بوسائل التشويق والجذب والبعد عن التقليد والتكرار.

(٤) الاهتمام بإيصال الدعوة إلى الله تعالى إلى غير المسلمين مع الأخذ بالاعتبار أنه لا بد من تسلح بالعلم الصحيح وتخلق بالخلق النبوي الكريم.

(٥) الاهتمام بالناشئة وتقريب سيرة النبي ﷺ إليهم وتشجيعهم على ممارسة ما يتعلمونه منها وتطبيقه في واقعهم.

(٦) استغلال الوسائل الحديثة للتواصل الاجتماعي في الدعوة إلى الله والوصول إلى المدعوين ومحاورتهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن.

(٧) الاهتمام ببيئة الدعوة وضرورة أن يتفطن الداعية إلى الفروق بين البيئات وأن ما يصلح في مكان قد لا يناسب مكانا آخر.

من أساسيات النجاح في تبليغ الدعوة على وجهها الصحيح معرفة المدعوين والإحاطة بالواقع النفسي والفكري والاجتماعي لهم؛ لأن ذلك ييسر عملية الدعوة، ويمكِّن القائمين على شئونها من وضع الخطط الملائمة للمدعوين، ومراعاة ما هم عليه من فكر ودين واتجاه.

إن المعرفة بالمدعوين تمكن الدعاة من مخاطبة القوم بلغتهم، والدخول إلى عقولهم من الجوانب المؤثرة التي تدفعهم إلى النظر والتفكير.

إن كل جماعة لها خصائصها النفسية، واتجاهاتها العقلية، ونشاطها العملي، وفي هذه الجوانب توجد مفاتيح الولوج لشخصية الجماعة، ولذاتية الفرد وسط الجماعة.

والمقصود بالجماعة الطائفة من الناس التي تكون مجتمعا متماسكا مترابطا بواسطة انتماءات خاصة؛ كالوطن أو الدين أو التحزب، مما يؤلف بين أفرادها جماعة يشملهم تماسك نفسي، وولاء وجداني.

إن أي جماعة تعيش مدة ما في إطار انتماء معين، تكتسب صفات خاصة، واتجاهات جديدة، وتعيش بشعور واحد، وآمال واحدة(١).

(٨) من أهم ما تؤلف به قلوب المدعوين العناية بحاجاتهم الدنيوية فما أجمل أن تكون هناك مؤسسات دعوية خيرية تجمع بين الدعوة إلى الله والتعليم وبذل الخير والمعروف.

(٩) جدت وسائل حديثة في الدعوة إلى الله تعالى وخاصة عبر الشبكة العالمية (الإنترنت) وإغفالها ليس من مصلحة الداعية، فإن أهل الباطل قد سبقوا إليها ولذا لا بد من مزاحمة باطلهم.

(١٠) الداعية مرشد إلى الخير، وموجه نحو الهدى، وكل هدفه أن يعرف الناس بربهم الخالق؛ ليفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة. وعليه هو أولا أن يمتن صلته بالله في يقين وقوة، ويجعل إيمانه قائما على تفرغ القلب الكامل لمولاه، والارتباط المطلق به، والتوكل الراسخ عليه، والتسليم التام كل ما

---

(١) السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي لأحمد أحمد غلوش (٥٦٤)

يأتي به من غير ارتياب – أو حرج– لتكون الدعوة بذلك نابعة من قوله وفعله، كل ذلك سهل ميسور(١).

(١١) الاهتمام بالقرب من المدعوين ومخالطتهم باعتدال وخاصة زيارتهم في بيوتهم وتجمعاتهم. فإن للزيارة سحرا تصنعه في قلوب كثير من الناس خاصة العصاة والمذنبين، ولقد كان الرسول ﷺ يزور الناس في أنديتهم، وبيوتهم، وأماكن عملهم، بل كان يزور الكفار بغرض دعوتهم وهدايتهم(٢).

(١٢) ضرورة أن يلتقي الدعاة إلى الله تعالى لقاءات دورية ينظرون في وسائل الدعوة، ويعينون بعضهم فيما يقدمونه من خطط وبرامج، مع التقويم المستمر لتلافي الأخطاء وتصحيح المسار.

(١٣) استغلال منبر الجمعة في تقديم خطب في سيرته ﷺ وأخلاقه مع ربطها بالواقع وعرضها بأسلوب جاذب مؤثر.

(١٤) الحاجة ملحة إلى قيام معاهد لإعداد الدعاة إلى الله تعالى من الرجال والنساء، وفق منهج علمي صحيح يعنى بوسائل الدعوة وطرق تجديدها.

(١٥) من المهم النظر المنصف إلى أسباب الإعراض عن دين الله والبحث عن سبل علاجها، والحرص الشديد على المراجعة والمكاشفة لتحقق الدعوة إلى الله غاياتها وتصل إلى القلوب.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد:

فمن خلال هذه البحث الموجز في خاتمة سورة التوبة ظهر لي بعض النتائج والتوصيات أجملها في الآتي:

(١) الأقرب أن خاتمة سورة التوبة نزلت بمكة.

(٢) في مناسبتها لما قبلها قيل إن المناسبة تتمثل في دواعي محبة النبي ﷺ والاستجابة لدعوته وإن شق عليهم ما جاءهم به.

(٣) قدمت خاتمة سورة التوبة ست صفات نبوية جمعت الرسَالَة والنفاسة والعزة وحرصه على إيصَال الْخيرَات إِلَى أمته فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة والرأفة وَالرَّحْمَة.

(٤) من أهم هدايات خاتمة سورة التوبة أنه ينبغي لورثته– عليه الصلاة والسلام– الداعين إلى الله، إن يتخلقوا بأخلاقه ﷺ، فيشق عليهم ما ينزل بالمؤمنين من المشاق والمكاره، وييسرون ولا يعسرون عليهم، ويحرصون على الخير للناس كافة، ويبذلون جهدهم في إيصاله إليهم، ويرحمونهم ويشفقون عليهم، فإن أدبروا عنهم استغنوا بالله وتوكلوا عليه، وفوضوا أمرهم إليه، من غير أسف ولا حزن.

---

(١) السيرة النبوية و الدعوة في العهد المكي (٥٧٣)

(٢) البصيرة في الدعوة إلى الله لعزيز العنزي (٩٩)

(٥) من أهم سبل تطبيقات هدايات هذه الخاتمة العناية بوسائل كسب قلوب المدعوين وتأليفهم كالزيارة والإعانة المادية وقضاء الحوائج.

(٦) من أهم توصيات البحث ضرورة الاهتمام بدراسة وتفسير الآيات المتعلقة بسيرة نبينا ﷺ وأخلاقه مع العناية بهداياتها.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين

المراجع والمصادر

(٧) القرآن الكريم.

(٨) الإتقان في علوم القرآن- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي- المحقق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم- الهيئة المصرية العامة للكتاب- ط: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

(٩) أحكام القرآن- أبو مُحَمَّد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف بابن الفرس- تحقيق: طه علي أبو سريح- دار ابن حزم- بيروت- ط/ الأولى- ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

(١٠) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبي السعود- أبو السعود العمادي مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مصطفى- الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت.

(١١) أركانُ الإيمانِ- جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود- ط: الرابعة، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

(١٢) أسباب نزول القرآن- أبو الحسن علي بن أحمد بن مُحَمَّد بن علي الواحدي، النيسابوري- المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان- دار الإصلاح- الدمام ط/ الثانية، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

(١٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن- مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي- دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع- بيروت، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

(١٤) الإكليل في استنباط التنزيل- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي- تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب- دار الكتب العلمية- بيروت- ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

(١٥) الانتصار للقرآن- مُحَمَّد بن الطيب بن مُحَمَّد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي- تحقيق: د. مُحَمَّد عصام القضاة- دار الفتح- عَمَّان، دار ابن حزم- بيروت- ط: الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

(١٦) البحر المحيط في التفسير- أبو حيان مُحَمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي- المحقق: صدقي مُحَمَّد جميل- دار الفكر- بيروت- ط: ١٤٢٠ هـ.

(١٧) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد- أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي- المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان- الناشر: الدكتور حسن عباس زكي- القاهرة- ط: ١٤١٩ هـ.

(١٨) البرهان في علوم القرآن- أبو عبد الله بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله بن بهادر الزركشي- المحقق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم- ط: الأولى ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م.

(١٩) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز- مجد الدين أبو طاهر مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادى- المحقق: مُحَمَّد علي النجار- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

(٢٠) البصيرة في الدعوة إلى الله- عزيز بن فرحان العنزي- تقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ- دار الإمام مالك- أبو ظبي- ط: الأولى، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

(٢١) تاريخ دمشق- أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر- المحقق: عمرو بن غرامة العمروي- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- عام النشر: ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

(٢٢) تاريخ نزول القرآن- مُحَمَّد رأفت سعيد- دار الوفاء- المنصورة، مصر- ط: الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

(٢٣) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»- مُحَمَّد الطاهر ابن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر بن عاشور التونسي- الدار التونسية للنشر- تونس- سنة النشر: ١٩٨٤م.

(٢٤) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف- عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو مُحَمَّد، زكي الدين المنذري- المحقق: إبراهيم شمس الدين- دار الكتب العلمية- بيروت- ط: الأولى، ١٤١٧هـ.

(٢٥) التسهيل لعلوم التنزيل- أبو القاسم، مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي- المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي- شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت- ط: الأولى- ١٤١٦ هـ.

(٢٦) التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف- علي علي صبح- المكتبة الأزهرية للتراث- ط: الأولى: ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

(٢٧) التعريفات- علي بن مُحَمَّد بن علي الزين الشريف الجرجاني- المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر- دار الكتب العلمية بيروت –لبنان- ط: الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

(٢٨) تفسير الألوسي = روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي- المحقق: علي عبد الباري عطية- دار الكتب العلمية- بيروت- ط: الأولى، ١٤١٥ هـ.

(٢٩) تفسير البغوي = معالم التنزيل في تفسير القرآن- محيي السنة، أبو مُحَمَّد الحسين بن مسعود البغوي- المحقق: حققه وخرج أحاديثه مُحَمَّد عبد الله النمر- عثمان جمعة ضميرية- سليمان مسلم الحرش- دار طيبة للنشر والتوزيع- ط: الرابعة، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

(٣٠) تفسير السمرقندي = بحر العلوم- أبو الليث نصر بن مُحَمَّد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي.

(٣١) تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن- مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري- تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي- بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة- دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان- ط: الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

(٣٢) تفسير القرآن- أبو المظفر، منصور بن مُحَمَّد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي- المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم- دار الوطن، الرياض- السعودية- ط: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

(٣٣) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)- مُحَمَّد رشيد بن علي رضا بن مُحَمَّد شمس الدين بن مُحَمَّد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني- الهيئة المصرية العامة للكتاب- ١٩٩٠م.

(٣٤) تفسير القرآن العزيز- أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن عيسى بن مُحَمَّد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي- المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة- مُحَمَّد بن مصطفى الكنز- الفاروق الحديثة- مصر/ القاهرة- ط/: الأولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

(٣٥) تفسير القرآن العظيم- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي- المحقق: سامي بن مُحَمَّد سلامة- دار طيبة للنشر والتوزيع- ط: الثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٣٦) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم- أبو مُحَمَّد عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم- المحقق: أسعد مُحَمَّد الطيب- مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية- ط: الثالثة- ١٤١٩ هـ.

(٣٧) التفسير الكبير = مفاتيح الغيب- أبو عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط: الثالثة- ١٤٢٠ هـ.

(٣٨) تفسير الماوردي = النكت والعيون- أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي- المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم- دار الكتب العلمية- بيروت / لبنان.

(٣٩) تفسير المراغي- أحمد بن مصطفى المراغي- شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر- ط: الأولى، ١٣٦٥هـ- ١٩٤٦م.

(٤٠) تفسير مقاتل بن سليمان- أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى- المحقق: عبد الله محمود شحاته- دار إحياء التراث- بيروت- ط: الأولى- ١٤٢٣ هـ.

(٤١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج- وهبة بن مصطفى الزحيلي- دار الفكر المعاصر- دمشق- ط: الثانية، ١٤١٨ هـ.

(٤٢) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم- إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن- إشراف مصطفى مسلم- كلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة- ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

(٤٣) التفسير الواضح الميسر- مُحَمَّد بن علي الصابوني- المكتبة العصرية- بيروت- ط/ الثامنة- ١٤٢٨هـ.

(٤٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم- مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر- الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية- ط: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م)- (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م).

(٤٥) التنزيل وترتيبه (منشور في مجلة الدراسات الإسلامية- جامعة الملك سعود المجلد ١٤ العدد الثاني).

(٤٦) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان- أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر ابن حمد آل سعدي.

(٤٧) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد- سليمان بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد الوهاب- المحقق: زهير الشاويش- المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق- ط: الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٤٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي- المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق- مؤسسة الرسالة- ط: الأولى ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

(٤٩) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم- المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي- المحقق: شعيب الأرناؤوط- إبراهيم باجس- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط: السابعة، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

(٥٠) الجامع لأحكام القرآن تفسير- أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي- تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش- دار الكتب المصرية- القاهرة.

(٥١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه = صحيح البخاري- مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي- المحقق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر- دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي)- ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٥٢) الجدول في إعراب القرآن الكريم- محمود بن عبد الرحيم صافي- دار الرشيد، دمشق- مؤسسة الإيمان، بيروت- ط: الرابعة، ١٤١٨ هـ.

(٥٣) الجواهر الحسان في تفسير القرآن- أبو زيد عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن مخلوف الثعالبي- المحقق: الشيخ مُحَمَّد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط: الأولى- ١٤١٨ هـ.

(٥٤) دراسات في علوم القرآن الكريم- فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي- حقوق الطبع محفوظة للمؤلف- الطبعة: الثانية عشرة ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(٥٥) الدر المنثور في التفسير بالمأثور- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي- دار الفكر- بيروت.

(٥٦) الدرر السنية في الأجوبة النجدية- علماء نجد الأعلام- المحقق: عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم- ط: السادسة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٥٧) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي- دار الكتب العلمية- بيروت- ط/ الأولى- ١٤٠٥ هـ.

(٥٨) رَحمةٌ للعَالَمِين مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ سَيِّدُ النَّاسِ أَجمَعِين نَبِيُّ الرَّحمةِ، الرَّحمَةُ المهدَاةُ خَاتم المرسَلين ﷺ نَشأتهُ، وَأخلاقه، وَمُعجزاته، وَعُمُوم رِسَالَتِهِ ﷺ في ضوء الكتاب والسُّنَّة- سعيد بن على بن وهف القحطاني- مطبعة سفير، الرياض

(٥٩) زاد المسير في علم التفسير- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي- المحقق: عبد الرزاق المهدي- دار الكتاب العربي- بيروت- ط: الأولى- ١٤٢٢ هـ.

(٦٠) زهرة التفاسير- مُحَمَّد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة- دار الفكر العربي.

(٦١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير- شمس الدين، مُحَمَّد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي- مطبعة بولاق (الأميرية)- القاهرة- عام النشر: ١٢٨٥ هـ.

(٦٢) سنن أبي داود- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني- المحقق: شعَيب الأرنؤوط- محَمَّد كامِل قره بللي- دار الرسالة العالمية- ط: الأولى، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

(٦٣) السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي- أحمد أحمد غلوش- مؤسسة الرسالة- ط: الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(٦٤) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه- أبو أحمد مُحَمَّد أمان بن علي جامي علي- المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية- ط: الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٦٥) العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ- مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي- المحقق: خالد بن عثمان السبت- إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد- دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة- ط: الثانية، ١٤٢٦ هـ.

(٦٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري- أبو مُحَمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى- الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت.

(٦٧) عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه ﷻومعاشرته مع العباد- أحمد بن مُحَمَّد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بُدَيْح، الدِّيْنَوَرِيُّ، المعروف بـ «ابن السُّنِّي»- المحقق: كوثر البرني- دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن- جدة / بيروت.

(٦٨) غرائب القرآن ورغائب الفرقان- نظام الدين الحسن بن مُحَمَّد بن حسين القمي النيسابوري- المحقق: الشيخ زكريا عميرات- دار الكتب العلميه- بيروت- ط: الأولى- ١٤١٦ هـ.

(٦٩) فتحُ البيان في مقاصد القرآن- أبو الطيب مُحَمَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي- عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري- المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا- بَيروت- عام النشر: ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

(٧٠) فتح القدير- مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني- دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت- ط: الأولى- ١٤١٤ هـ.

(٧١) في ظلال القرآن- : سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي- دار الشروق- بيروت- القاهرة- ط: السابعة عشر- ١٤١٢ هـ.

(٧٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله- دار الكتاب العربي- بيروت- ط: الثالثة- ١٤٠٧ هـ.

(٧٣) مجاز القرآن- أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري- المحقق: مُحَمَّد فواد سزگين- مكتبة الخانجى- القاهرة- ط: ١٣٨١ هـ.

(٧٤) المجتبى من مشكل إعراب القرآن- أحمد بن مُحَمَّد الخراط، أبو بلال- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة- عام النشر: ١٤٢٦ هـ.

(٧٥) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد- أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي- المحقق: حسام الدين القدسي- مكتبة القدسي- القاهرة- عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م.

(٧٦) مجموع الفتاوى- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني- المحقق: عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية- عام النشر: ١٤١٦هـ /١٩٩٥م.

(٧٧) محاسن التأويل- مُحَمَّد جمال الدين بن مُحَمَّد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي- المحقق: مُحَمَّد باسل عيون السود- دار الكتب العلمية- بيروت.

(٧٨) لمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها- أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي- وزارة الأوقاف- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- ط: ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٧٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- أبو مُحَمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي- المحقق: عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد- دار الكتب العلمية- بيروت- ط: الأولى- ١٤٢٢ هـ.

(٨٠) مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع- ابن خالويه- مكتبة المتنبي- القاهرة.

(٨١) المدخل لدراسة القرآن الكريم- مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن سويلم أبو شُهبة- مكتبه السنة- القاهرة- ط: الثانية، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

(٨٢) المستدرك على الصحيحين- أبو عبد الله الحاكم مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري- تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية- بيروت- ط: الأولى، ١٤١١- ١٩٩٠.

(٨٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل- أبو عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني- المحقق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون- إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي- مؤسسة الرسالة- ط: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(٨٤) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري- المحقق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي- دار إحياء التراث العربي- بيروت.

(٨٥) مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ- "المِقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"- إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي- مكتبة المعارف- الرياض.

(٨٦) معاني القرآن وإعرابه- إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج- المحقق: عبد الجليل عبده شلبي- عالم الكتب- بيروت- ط: الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

(٨٧) المعجم الكبير- سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني- المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي- مكتبة ابن تيمية- القاهرة- ط: الثانية.

(٨٨) المفردات في غريب القرآن- أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد المعروف بالراغب الأصفهانى- المحقق: صفوان عدنان الداودي- دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت- ط: الأولى- ١٤١٢ هـ.

(٨٩) المكي والمدني في القرآن الكريم دراسة تأصيلية نقدية للسور والآيات من أول القرآن الكريم إلى نهاية سورة الإسراء- عبد الرزاق حسين أحمد- دار ابن عفان- القاهرة- ط/ الأولى- ١٤٢٠هـ.

(٩٠) مناهل العرفان في علوم القرآن- مُحَمَّد عبد العظيم الزُّرْقاني- مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- ط: الطبعة الثالثة.

(٩١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور- إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي- دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

(٩٢) النهاية في غريب الحديث والأثر- مجد الدين أبو السعادات المبارك بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير- تحقيق: طاهر أحمد الزاوى- محمود مُحَمَّد الطناحي- المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

المحتويات

المقدمة ٢
المبحث الأول: تاريخ نزول خاتمة سورة التوبة، ومناسبتها لما قبلها ٣
المطلب الأول: تاريخ نزول خاتمة سورة التوبة: ٣
المطلب الثاني: مناسبتها لما قبلها ٥
المبحث الثاني: التفسير التحليلي لخاتمة سورة التوبة ١
المبحث الثالث: الهدايات القرآنية في خاتمة سورة التوبة ٩
المبحث الرابع: أثر تطبيق الهدايات القرآنية في خاتمة سورة التوبة على واقع الأمة وسبل تحقيقها... ١٥
الخاتمة ١٧
المراجع والمصادر ١٨